الرأي العام وأثره في السياسة الشرعية

أ.م.د. مهند سعد قاسم
قسم العقيدة - كلية العلوم الإسلامية
الجامعة العراقية
العراق

المخلص

لا شك أن الرأي العام له أثر كبير في الحياة العامة للمجتمعات البشرية، سيما في الحياة السياسية ولا نبالغ إذا قلنا إن هذا الموضوع له صلة قوية بحفظ أمن المجتمعات وترسيخ استقرارها وصيانة منجزاتها، لذا كان من الضروري أن يحظى بدراسة علمية تحل الإشكالات المتعلقة به بينت هذه الدراسة حرص الرسول (ﷺ) على الاعتداد بالرأي العام، وبيان مظاهر ذلك من سيرته صلى الله عليه وسلم- حيث بينت مفهوم الرأي العام ونشأته والتأصيل الشرعي له، والعلاقة بينه وبين السياسة الشرعية، وقد تضمن الموضوع ثلاثة مباحث: المبحث الأول مبحث تمهيدي في التعريف بمفردات البحث، والمبحث الثاني أقسام الرأي العام ووظيفته، والمبحث الثالث علاقة الرأي العام بالسياسة الشرعية، ثم الخاتمة والمصادر.

الكلمات المفتاحية: الرأي العام، السياسة الشرعية.

Public Opinion and its Impact on Sharia Policy

Assist. Prof. Dr. Muhannad Saad Qassim
Department of Creed - College of Islamic Sciences
Al-Iraqia University
Iraq

ABSTRACT

There is no doubt that public opinion has a great impact on the public life of human societies, especially in political life. We do not exaggerate if we say that this topic has a strong connection with maintaining the security of societies, consolidating their stability and preserving their achievements. Therefore, it was necessary to have a scientific study that solves the problems related to it. The study was keen on the Messenger, may God's prayers and peace be upon him - to take heed of public opinion, and to explain the manifestations of that from his biography, may God's prayers and peace be upon him - as it clarified the concept of public opinion, its emergence and the legal rooting of it, and the relationship between it and legitimate politics. Introducing the research vocabulary, the second topic, the sections and functions of public opinion, and the third topic: the relationship of public opinion with legitimate politics, then the conclusion and sources.

Keywords: public opinion, legitimate politics.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد.
لا شك أن الرأي العام له أثر كبير في الحياة العامة للمجتمعات البشرية، لاسيما في الحياة السياسية ولا نبالغ إذا قلنا أن هذا الموضوع له صلة قوية بحفظ أمن المجتمعات وترسيخ استقرارها وصيانة منجزاتها، لذا كان من الضروري أن يحظى بدراسة علمية تحل الإشكالات المتعلقة به.

أهمية الدراسة:

تتبين لنا أهمية الدراسة مما يأتي:
أولاً: إنه يجمع المسائل المشتتة التي لها علاقة بالرأي العام .
ثانياً: هذا البحث يظهر أن الرأي العام هو تعبير حقيقي عن مدى شرعية السلطة الحاكمة.
ثالثاً: حاجة الباحثين والمختصين بدراسة العلوم الشرعية لبحث بيبين أثر الرأي العام في توجيه سياسة الحاكم المسلم.
رابعاً: هذا الموضوع يبرز أهمية اعتبار الحاكم للرأي العام باعتباره محركاً أساسياً لسياسة الدولة .
خامساً: إثراء المكتبة الإسلامية ببحث علمي يتبين من خلال ه أهمية الرأي العام بالنسبة للإمام المسلمين .
سادساً: هذه الدراسة تبرز النماذج التطبيقية التي تدل على اعتداد الرسول (ﷺ) بالرأي العام .
مشكلة الدراسة:

يظن البعض بأن موضوع الرأي العام وأهميته في الحياة السياسية العامة لم يتطرق له الشرع، بل ذهب البعض إلى الزعم أن الرأي العام فكرة غربية محضه، فجاء هذا البحث للإجابة على الأسئلة الآتية:
أولاً: ما معنى الرأي العام وما التأصيل الشرعي له؟
ثانياً: ما مظاهر مراعاة النبي - صلى الله عليه وسلم - للرأي العام وما أثرها في السياسة الشرعية ؟
ثالثاً: ما عوامل تكوين الرأي العام في عصر النبوة ؟
رابعاً: ما علاقة الرأي العام بالسياسة الشرعية؟
أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:
أولاً: استقراء عوامل تكوين الرأي العام في عصر النبوة .
ثانياً: استقراء وتحليل معنى الرأي العام واستنتاج التأصيل الشرعي له
ثالثاً: استقراء مظاهر مراعاة النبي - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين للرأي العام وأثرها في السياسة الشرعية .
رابعاً: مقارنة علاقة الرأي العام بالسياسة الشرعية .
خطة البحث:

اقتضى الموضوع أن نقسمه على ثلاثة مباحث:
المبحث الأول يبين في المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردات البحث، مع بيان بعض العوامل المرتبطة بهذه المفردات، وذلك على أربعة مطالب.
المبحث الثاني وقد تكلمت فيه عن أقسام الرأي العام ووظيفته على مطلبين.
أما المبحث الثالث فقد خصصته للبحث في علاقة الرأي العام بالسياسة الشرعية، على ثلاثة مطالب.
ثم الخاتمة وقد أدرجت فيها أهم نتائج البحث.
ثم المصادر والمراجع.

المبحث الأول مفردات البحث

المطلب الأول : مفهوم الرأي العام

الفرع الأول: كلمتا: (الرأي) (العام) لغة واصطلاحاً

سنتكلم أولاً عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الرأي العام.
أولاً: الرأي، لغة: الرأى والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة. فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآراء. رأى فلان الشيء (1)، والرؤية تطلق على عدة معان: (2)
1- النظر بالعين التي هي الحاسة وما يجري مجراها، وعلى ذلك قوله: (يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) (3)
2- بالقلب، أي بالعقل، وعلى ذلك قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) (4)
3- بالتفكير نحو: (إنني أرى ما لا ترون) (5)
4- الوهم والتخيل نحو: أرى أن زيداً منطلقاً.

وفي الاصطلاح: يطلقه العلماء على عدة معان هي:

- 1- أعمال الفكر لاستخراج مال فعل من الأفعال، وممن قال به: أبو يعلى الفراء حيث عرّف الرأي بأنه: "استخراج صواب العاقبة" (6)
ب. كما عرفه ابن القيم بأنه: "ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات" (7)
ت. وعرفه الشوكاني بأنه: "استفراغ الجهد في الطلب للحكم من النصوص الخفية" (8)
- 2- القياس: وممن قال به السرخسي، فعرفه: "والرأي لا يصلح لنصب الحكم به ابتداءً وإنما هو لتعدي حكم النص إلى نظيره مما لا نص فيه" (9)
ثانياً: العام: من (عم) والعين والميم أصل صحيح يدل على الطول والكثرة والعلو. (10)

الفرع الثاني: مصطلح الرأي العام

عجز المفكرون في تعريفهم للرأي العام متفق عليه، وذلك بسبب تباين النظرة إلى هذا المفهوم، انطلاقاً من اختلاف النظرة الاجتماعية والسياسية تجاه دور الشعوب في المشاركة السياسية، وتباين الخلفيات الثقافية والفكرية للجماعات المهتمة بها، كما أن اختلاف العقيدة والمذهب أدى بدوره إلى اختلاف النظرة إلى الرأي العام. (11)

(1) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، 1399هـ/1979م: 472/2.
(2) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي- أبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: 1205هـ/1790م) دار الهداية، دمشق: 102/38.
(3) سورة الأعراف، من الآية/27.
(4) سورة النجم، الآية/13.
(5) سورة الأنفال، من الآية/48.
(6) العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى- محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت: 458هـ)، تحقيق: د. أحمد بن علي بن سير المبارك، جامعة الملك محمد بن سعود، ط2، 1410 هـ / 1990 م: 184/1.
(7) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم -أبي عبدالله محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد، دار الجليل، بيروت 1392هـ/1972م: 53/1.
(8) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1419 هـ / 1999م: 99/2.
(9) أصول السرخسي (تمهيد الفصول في الأصول)، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: 483هـ/ 1089 م) دار المعرفة، بيروت: 92/2.
(10) مقاييس اللغة: 15/4.
(11) ينظر: الرأي العام والإعلام والدعاية، هاني رامز الرضا، المؤسسات الجامعية، بيروت، ط1، 1985م: ص/17-18.

وقد وردت في تعريف الرأي العام الكثير من الأقوال لا يتسع المقام لذكرها، ومن هنا يرى بعض المفكرين أن كثرة التعريفات تؤكد على أن هذا المفهوم هو في حد ذاته مظهر مباشر لوجود المجتمع، وقد ظلت فكرة الرأي العام لوقت طويل يحيط بها الغموض، بل إن كثيراً من الناس اليوم يشعرون بغموض هذا المفهوم.⁽¹⁾ ومن تلك التعريفات :

أولاً: هو: الاتجاه السائد بين جماعة من الناس تربطهم مصلحة مشتركة تجاه قضية تهم أفراد هذه الجماعة في وقت معين.⁽²⁾

ثانياً: إنه ميول الناس نحو قضية ما إذا كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة.⁽³⁾
ثالثاً: هو: الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة إزاء موقف من المواقف أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة.⁽⁴⁾
والتعريف الأخير هو ما ترجح لدينا للأسباب الآتية :

أولاً: إنه التعريف بعيد عن التكلف والصنعة.
ثانياً: إن من شروط التعريف الصحيح أن يكون جامعاً مانعاً، بحيث يتمكن القارئ استيعابه، وهذا ما اشتمل عليه التعريف.

ثالثاً: إن الرأي العام يتكون من مجموعة آراء غالبية أفراد المجتمع تجاه مسألة معينة وهذا ما أكدته التعريف.
رابعاً: إن الرأي العام يكون في مسألة هامة تؤدي إلى تفاعل آراء الأفراد؛ مما يؤدي إلى تكوين رأي جماعي. ويمكن القول أن معظم تعريفات الرأي العام تدور حول ثلاثة عناصر هي : (قضية مطروحة) و (مناقشات مركزة حول القضية المطروحة) و (الحكم الذي تصل إليه الجماعة أو الرأي).

المطلب الثاني : نشأة الرأي العام وتطوره

استخدم مصطلح الرأي العام لأول مرة في القرن الثامن عشر إبان الثورة الفرنسية على لسان وزير مالية لويس السادس عشر جاك بنكير، للتعبير عن التحكم في سلوك المستثمرين في بورصة باريس، عندما كانت الدول تتوجه للجواهر للحصول على قروض وطنية، ولكن هذا لا يعني أن الحضارات القديمة لم تكن خالية من المفاهيم المتصلة بالرأي العام،⁽⁵⁾ بل يمكن القول أن هذا المفهوم قديم تضرب بجذوره الممتدة إلى أعماق التاريخ وصاحب صاحب الإنسان منذ العصور الأولى.

فقد كان حكام بابل وآشور وسومر يحسبون لقوة الرأي العام حساباً ملحوظاً كما كشفت آثارهم، وبرعوا في التأثير على شعوبهم وحلفائهم، كما برعوا في التأثير على أعدائهم، وبيث الهلع والرعب في قلوب الذين يترصدون بهم، كما برع المصريون القدماء في التأثير على الرأي العام بوسائل غاية في الذكاء كتأليه الفرعون الحاكم، وتقديس الكهنة، وبناء الأهرامات، والطقوس الدينية التي تخلق جواً من المهابة يسيطر على مشاعر الناس وعقله.⁽⁶⁾ كما كان للرأي العام دور في المدن الإغريقية القديمة فقد كان ظاهراً جلياً في كل من أثينا وإسبارطة؛ لأن الأمور العامة كانت موضع مناقشة من يتمتعون بحق المواطنة، وكانت الكلمة العليا للأغلبية، وقد كان المفكرون السياسيون مثل أفلاطون وأرسطو يستخدمون مصطلح الرأي الجماهيري للدلالة على الرأي العام.⁽⁷⁾ واتبعت الدولة الرومانية ما كان سائداً في أثينا وإسبارطة، واعتبرته مظهراً من مظاهر الديمقراطية، وهناك نصوص رومانية عبرت عنه بصوت الشعب أو الجماهير.⁽⁸⁾

(1) ينظر: الرأي العام مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، سعيد السراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م: ص/8.

(2) الرأي العام في القرن الثالث الهجري، عادل الألوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م: ص/13.

(3) الرأي العام في المجتمع الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط6، 1984م: ص/244.

(4) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1984م: ص/69.

(5) الرأي العام بدايته وتكوينه، بدر: ص/29.

(6) ينظر: الرأي العام وإعلام والحرب النفسية، عبد الحميد حجازي، المطابع الوطنية، القاهرة، 1987م: ص/35.

(7) الرأي العام بدايته وتكوينه، بدر: ص/29.

(8) ينظر: تاريخ الرأي العام، حسني الخطيب، موقع قصة الاسلام، 2013م بإشراف الدكتور راغب السرجاني.

وعند ظهور الديانتين الكبيرتين المسيحية والإسلام في العصور الوسطى كان الرأي العام في أوروبا المسيحية سلبياً بسبب الخلاف الذي استمر بين البابا والإمبراطورية، وظهور نظام الإقطاع؛ الأمر الذي أدى إلى تقلص الحركة الفكرية، وانعدام ما سمي بالرأي العام.⁽¹⁾

وبمجيء الإسلام تطوّر الرأي تطوراً ملحوظاً سواء في عصر النبي (ﷺ) أو في عصر الخلفاء الراشدين، وذلك بعد أن هدم الإسلام شكل القبيلة والأسرة المعروفة آنذاك، ومحا منه الشخصية الفردية، وأصبح الفكر الإسلامي لا يعمل إلا ضمن النطاق الجديد المتمثل بالقرآن والسنة.⁽²⁾

المطلب الثالث: التأصيل الشرعي للرأي العام

ونقصد به أدلة الرأي العام من النصوص الشرعية: كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ):
 أولاً: القرآن الكريم:

كان اهتمام القرآن الكريم واضحاً جلياً بالرأي العام، وفيما يأتي بعض الأدلة:

1- قوله تعالى: (وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا صَافَقْتُمْ عَلَى الْأَرْضِ بِمَا رَحِبْتُمْ وَصَافَقْتُمْ عَنْفُسَهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)⁽³⁾ تخلف قومٌ عن معركة تبوك ولم يذهبوا مع الجيش ، واحتج المناقون بحجج واهية قبلها منهم رسول الله (ﷺ) ولكن ثلاثة من الأنصار لم يعتذروا ولم يكذبوا ولم يحتجوا وقالوا لا حجة لنا فنزلت فيهم هذه الآية، فأمر (ﷺ) المسلمين بمقاطعتهم.⁽⁴⁾

ووجه الدلالة من الآية: أن النبي (ﷺ) وبوحي من الله تعالى قد استخدم الرأي العام في معاقبة المتخلفين الثلاثة، ليكون في هذا عقوبة لهم وردعاً لغيرهم، فاستخدام القرآن الكريم للرأي العام كان بهدف الإصلاح والعلاج لا التشهير ولا الهدم، فاستخدم سلاح الرأي العام وسيلة لإبراز خطورة التخلف عن الجهاد على الأمة، وقيام الأمة جميعها بواجب المقاطعة، حتى إذا حققت المقاطعة ثمرتها التربوية للمتخلفين خاصة وللأمة عامة نزل الحكم من السماء بإنهاء المقاطعة والتوبة على الذين تخلفوا وتابوا،⁽⁵⁾ فاستخدام القرآن الكريم للرأي العام كان من باب سد الذرائع، فمن حدثته نفسه بالتخلف عن الجهاد تذكر ما جرى للثلاثة الذين خلفوا، وفي ذلك تحقيق المصلحة عامة.⁽⁶⁾

2- قوله تعالى: (وَلَوْ لَا رَجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ⁽⁷⁾ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا⁽⁸⁾ لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)⁽⁹⁾

لما أراد رسول الله (ﷺ) وأصحابه الكرام دخول مكة المكرمة، كان فيها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات قد حبسهم المشركون بها، ولم يتمكنوا من الهجرة إلى المدينة المنورة، ولو دخل المسلمون مكة لئالوا من هؤلاء المؤمنين المستضعفين فيصيبهم منهم معرة بغير علم، وذلك بأن يقول المشركون: قد قتلوا أهل دينهم.⁽¹⁰⁾ ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن المؤمنين لو دخلوا مكة المكرمة فاتحين، وبين المشركين قوم مؤمنون لم يتميزوا عنهم، فقد

(1) الرأي العام والإعلام: ص/38.

(2) ينظر: الرأي العام في القرن الثالث الهجري: ص/21-24.

(3) سورة التوبة، الآية/118.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) - أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/2000م: 548/14.

(5) ينظر: الرأي العام في المجتمع الإسلامي: ص/254.

(6) السياسة الشرعية عند الإمام ابن قيم الجوزية ، جميلة عبد القادر الرفاعي، دار الفرقان، عمان، 2004م: ص/254.

(7) المعرة: العيب والمسبة. لسان العرب، لابن منظور-أبي الفضل محمد بن مكرم المصري (ت: 711هـ) دار صادر، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م: 556/4، وينظر: معانيها في النكت والعيون (تفسير الماوردي) أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت: 320/5.

(8) تزيل: تميز وخلص. معاني القرآن، للفراء- أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور النيلمي (ت: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط1: 68/2.

(9) سورة الفتح، من الآية/25.

(10) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ)، تحقيق أحمد عبد الحلیم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـ/1952م: 285/16.

يطأ المؤمنين بغير علم فينالوا منهم، مع ما في ذلك من عيب وسبب بأنهم قتلوا إخوانهم في الدين، ولو تميز هؤلاء المؤمنين عن الكفار فإنهم سيُعذبون عذاب أليماً بأيدي المؤمنين، ويلاحظ أن الرأي العام الذي اعتد به القرآن الكريم هو رأي المشركين، والدعاية الإعلامية التي سيقوم بها أعداء الإسلام ضد النبي (ﷺ) وصحبه (رضي الله عنهم).
ثانياً: من السنة النبوية :

حرص (ﷺ) على الرأي العام والاعتداد به وما أكثر الشواهد من سيرته العطرة إلا دليل على ذلك وفيما يأتي ذكر لبعض النماذج:

1- إن الرسول (ﷺ) لم يقم بهدم الكعبة اعتداداً منه بالرأي العام على الرغم من تشوفه الشديد لذلك، وبيان ذلك ما ورد في الحديث الشريف «عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ لَهَا أَلَمْ تَرَي أَنَّ قَوْمَكَ لَمَّا بَنَوْا الْكُفَّةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تُرَدُّهَا عَلَيَّ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ لَوْلَا حِدْتَانِ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَفَعَلْتُ» (1) فرسول الله (ﷺ) يترك شيئاً كان حريصاً على فعله اعتداداً منه بالرأي العام.

2- امتناعه (ﷺ) عن قتل عبد الله بن أبي سلول على الرغم من كثرة جرائمه بحقه (ﷺ) وصحابته الكرام اعتباراً منه للرأي العام، فقد قال له عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» (2)

المطلب الرابع: السياسة الشرعية

أولاً : لغة، السياسة من (سوس) وهي الرياسة ، يقال ساسوهم سوساً، وإذا رأسوه قيل : سوسوه وأساسوه ، وسوس القوم : جعلوه يسوسهم. ويقال سوس فلان أمر بني فلان : أي كلف سياستهم وسوس الرجل أمور الناس، إذا ملك أمرهم، (3) فالسياسة في اللغة تعني "رياسة وقيادة الناس والقيام على تدبير أمورهم" (4)
الشرعية : من (شَرَعَ) الشَّيْنُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ شَيْءٌ يُفْتَحُ فِي امْتِدَادٍ يَكُونُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الشَّرِيعَةُ، وَهِيَ مُؤَرَّدُ الشَّرَابَةِ الْمَاءِ. وَاشْتُقُّ مِنْ ذَلِكَ الشَّرْعَةُ فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةُ، (5) قال تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ) (6)

ثانياً : في الاصطلاح : تعددت تعريفات العلماء للسياسة الشرعية، ومن أشهر هذه التعريفات، تعريف الدكتور عبد الرحمن تاج، حيث عرفها على أنها : "تدبير شؤون الأمة وتنظيم مرافقها بما يتفق وروح الشريعة، وأصولها الكلية ، ولو لم يرد فيها شيء من النصوص التفصيلية الجزئية الواردة في الكتاب والسنة" (7)
وعرفها الدريني على أنها : "تدبير أمر الأمة على أساس الظروف القائمة" (8)
وهناك تعريف يقول إنها : "القواعد والتصرفات التي يقوم بها الإمام أو من يقوم مقامه لتدبير شؤون الرعية في جميع مناحي الحياة، الموافقة للشرع والمحققة لأهدافها" (9)
وهو ما يبدو لنا راجحاً كونه الأشمل والأوفى لمعنى السياسة الشرعية.

(1) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت (الطبعة السلطانية)، ط1، 1422هـ/2002م ، بَابُ مَنْ أَيْنَ يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ: 146/2، برقم (1576).

(2) صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِهِ (يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) : 154/6، برقم (4907).

(3) لسان العرب: 108/6.

(4) السياسة الشرعية عند الامام ابن قيم الجوزية: ص/44.

(5) مقاييس اللغة: 262/3.

(6) سورة الجاثية، من الآية/18.

(7) السياسة الشرعية في الفقه الإسلامي، عبد الرحمن تاج، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1953م: ص/1.

(8) خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م: ص/191.

(9) السياسة الشرعية في مواجهة تعاطي القات في اليمن، هناء سالم با حميد، دار حضر موت، عدن، 2014م: ص/17.

المبحث الثاني أقسام الرأي العام ووظيفته

المطلب الأول: أقسام الرأي العام

يقسم المفكرون المعاصرون الرأي العام إلى ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول: الرأي العام النابه (القائد) ويتمثل في قادة الرأي من المفكرين والعلماء والكتاب والساسة، وهؤلاء يكونون بنسبة ضئيلة جداً من الشعب، وهم الذين يقودونه ويثقفونه ويرشدونه من النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وهذه الصفوة لا تتأثر بوسائل الإعلام والدعاية المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون ومطبوعات، إنما هي التي تؤثر في تلك الوسائل بأفكارها وآرائها.⁽¹⁾

القسم الثاني: الرأي العام المتقف (القارئ) ويمثله المتعلمون سواء أكان تعليمهم عالياً أم متوسطاً، وهؤلاء تتفاوت نسبتهم في الأمة تبعاً لدرجة حضارتها، ويتأثرون بوسائل الإعلان والدعاية، لكنهم قد يؤثرون فيها أيضاً بقدر محدود بما يصدر عنهم من آراء ومناقشات أو نقد.⁽²⁾

القسم الثالث: الرأي العام المنساق (المنقاد) وتمثله الأكثرية الساحقة من الشعب وهم الأميين وغيرهم من الذين نالوا حظاً ضئيلاً من الثقافة كطوائف العمال الزراعيين والصناع، وهؤلاء طعم للدعاية، ويؤمنون بكل ما ينشر في وسائل الإعلام المختلفة، ولا يحاولون التفكير فيما يحتويه من صواب أو خطأ أو حق أو باطل، وهم عرضة لتأثير الرأي العام النابه والزعماء السياسيين وأعدائهم من الدعاة.⁽³⁾

ويُشار إلى أنَّ هذا التقسيم ليس متفقاً عليه عند المفكرين وعلماء الإعلام حيث نجد أنَّ بعضهم قد ذهب إلى تقسيم الرأي العام وفقاً للنطاق الجغرافي إلى الأقسام الآتية:

القسم الأول: الرأي العام المحلي وهو يعبر عن الرأي العام السائد في منطقة جغرافية معينة أو مدينة معينة أو محافظة مثلاً، وهو يهتم بالمشاكل المحلية ويدور في أبعاد وتوترات ذاتية.⁽⁴⁾ كمثال على ذلك ما جرى في الاهواز من مظاهرات في العام الماضي حول شحة المياه.

القسم الثاني: الرأي العام النوعي وهو الرأي الذي يتمثل في طائفة أو فئة معينة، من شعب بعينه أو من مجموعة من الشعوب في قضية معينة يحتدم فيها الجدل وتهم هذه الطائفة أو الفئة وتمس مصالحها أو قيمها الأساسية مساً مباشراً، وتجمع مثل هذه الفئات عادة عوامل دينية أو عنصرية أو طبيعية أو اقتصادية أو سياسية أو ثقافية،⁽⁵⁾ كمثال على هذا القسم: الرأي العام الإسلامي والعربي المعادي للحركة الصهيونية، ووجود الكيان الصهيوني المغتصب.

القسم الثالث: الرأي العام الوطني وهو الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعية في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحتدم فيها الجدل والنقاش، وتمس مصالحها أو قيمها الإنسانية الأساسية مباشرة.⁽⁶⁾ كمثال على ذلك انتفاضة تشرين 2019 في العراق.

المطلب الثاني: وظيفة الرأي العام

الوظائف المنوطة بالرأي العام التي يقوم بها المجتمع تتمثل في المجالات التالية :

الفرع الأول : المجال السياسي

أولاً: التأثير على القرار السياسي، فالدول تأخذ برأي الشعب وهو الرأي العام، بحيث أن القرارات الهامة في الدولة يجب أن تبنى على الرأي العام بمعنى أنه من اللازم أن يعكس نشاط الحكومة اليومي بطريقة أو بأخرى هذا الرأي.⁽¹⁾

(1) ينظر: الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة، حسين عبد القادر، جامعة القاهرة، قسم الصحافة، ط2، 1962م: ص/ 56.

(2) المرجع نفسه.

(3) الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة: ص/ 57.

(4) ينظر: أساسيات الرأي العام، محمد منير حجاب، دار الفجر، القاهرة، ط1، 1998م: ص/ 36.

(5) ينظر: الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة: ص/ 57.

(6) ينظر: الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة: ص/ 36.

ثانيا: التأثير على الانتخابات حيث ينتج عن عملية الانتخابات والتصويت اختيار قيادات سياسية، تقوم بتشكيل السياسة في شكلها النهائي، ويرسمون حدود السياسة، ويمارسون السلطة ضد التوجهات التي يتقبلها الرأي العام.⁽²⁾

ثالثا: مناقشة الحكم واستجوابه وتقديم النصيحة له،⁽³⁾ وقد جاءت النصوص الشرعية أمرة بتقديم النصيحة للإمام، ومن ذلك قوله (ﷺ): «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»⁽⁴⁾

رابعا: إنجاح خطط الدولة، حيث يعمل الرأي العام على إنجاح خطط الدولة في شتى مجالات التنمية كما يقوم بدور في إحباطها إذا لم تتمكن الدولة من إقناع الرأي العام بتوجهاتها، فنجاح الدول في تحقيق التنمية الشاملة يعتمد اعتمادا كبيرا على قدرتها على خلق رأي عام مساهم ومشارك ومتفهم.⁽⁵⁾

خامسا: تحديد ملامح السياسة الخارجية، وذلك بفعل الضغوط التي يمارسها، لأن الجهة التي ترسم السياسة الخارجية للدول لا بد وأن تأخذ رغبة الشعب وما يمكن أن يقبله بعين الاعتبار.⁽⁶⁾

سادسا: مساندة الأفكار السياسية؛ لأن نجاح أي فكرة أو اتجاه سياسي يتوقف على مدى ميول الرأي العام لهذا الفكرة أو هذا الاتجاه.⁽⁷⁾

سابعا: الحفاظ على الروح المعنوية، أما إذا انقسم الرأي العام في الجماعة وساد فيها الخلاف وتغلبت المصالح الخاصة على المصالح العامة انخفضت فيها الروح المعنوية، إذ إن تأييد الرأي العام أمر أساسي إذا أريد أن يكون هناك روح معنوية عالية.⁽⁸⁾

المبحث الثالث الرأي العام والسياسة الشرعية

بيّنا أنّ الرأي العام هو اتجاهات الناس تجاه مسألة معينة ، والسياسة الشرعية هي تدبير شؤون الأمة بناء على المصلحة، لذا يمكن بيان وجوه العلاقة بينهما في الأمور الآتية:

المطلب الأول: انعقاد الإمامة بالرأي العام:

ذهب علماء الأمة إلى أنّ الإمامة تنعقد من وجهين:

الوجه الأول: البيعة:⁽⁹⁾ وتكون عن طريق اختيار أهل الحل والعقد.

أما أهل الحل والعقد فهو : "مصطلح جديد استحدثه المفكرون المسلمون ، ويقصد به: الخبراء في شؤون المجتمع وأحواله الاجتماعية والسياسية ، يرجع إليهم الناس في المصالح العامة، ويسمعون لهم بسبب ما توفر لهم من خبرة وحكمة ودراية في هذا المجال ، وعلى عاتق هؤلاء مهمة اختيار رئيس الدولة الإسلامية من بين من تتوافر فيهم

(1) أساسيات الرأي العام: ص/43.

(2) المرجع نفسه.

(3) أساسيات الرأي العام: ص/44.

(4) صحيح مسلم- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت ، باب بيان أنّ الدين النصيحة: 53/1، برقم (205).

(5) أساسيات الرأي العام: ص/46.

(6) المرجع نفسه: ص/47.

(7) أساسيات الرأي العام: ص/46.

(8) المرجع نفسه.

(9) البيعة، لغة: الصفة لإيجاب البيع على المتابعة والطاعة. تهذيب اللغة: 152/3، وفي الاصطلاح: اصطلاحا: هي أن يجتمع أهل الحل والعقد، فيعقدوا الإمامة لمن يستجمع شرائطها. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2/1985م: 39/1.

الشروط ، ثم تقع على عاتقهم مهمة مراقبة ذلك الرئيس ومعاونته في اتخاذ القرارات السياسية والاجتماعية التي تعود على أفراد المجتمع بالنفع مع النصيح له وتوجيهه،⁽¹⁾ وقد روي "عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِمْ"⁽²⁾

ويتبين لنا من هذا الحديث أَنَّ البيعة حقيقة هي حشد للرأي العام على السمع والطاعة، مع ما في ذلك من مصالح عظيمة للدعوة والأمة ، بل إن الرأي العام يكفي لانعقاد البيعة كما يراه الجويني، فيقول : "يعتبر في البيعة حصول مبلغ من الاتباع والأنصار والأشياء ، تحصل بهم شوكة ظاهرة ، ومتمعة قاهرة"⁽³⁾ ، ويؤيد هذا قوله - صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح : « فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُتَابَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغَرُّاً⁽⁴⁾ أَنْ يُقْتَلَ»⁽⁵⁾ ومن هنا يقول ابن تيمية: "الإمامة تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها ، ولا يصير الرجل إماماً إماماً حتى يوافق أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة ، والملك لا يصير ملكاً بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة ، إلا أَنْ تكون موافقة غيرهم بحيث يصير ملكة بذلك"⁽⁶⁾

الوجه الثاني: عهد الإمام من قبل، ولا قيمة لعهد الإمام لأحد من بعده لتولي منصب الخلافة، ما لم ترك أغلبية الأمة هذا الترشيح، وتبايعه على ذلك، لإضفاء الشرعية على سلطته،⁽⁷⁾ فإن مات الإمام ولم يعهد إلى أحد أن يبادر رجل مستحق للإمامة فيدعو إلى نفسه ولا منازع له فيجب أتباعه والانقياد لبيعه والتزام إمامته وطاعته ، وفي الحديث: " فَأَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتٌ بْنُ أَقْرَمَ أَحَدُ بُلْعُجَلَانَ، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا: أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ"⁽⁸⁾ وصوب ذلك رسول الله (ﷺ) إذ بلغه فعله.

خلاصة ما سبق أَنَّ الرأي العام والسياسة الشرعية بينه ما ترابط عضوي ، بحيث لا يوجد انفكاك لأحدهما عن الآخر ، فالرأي العام منوط به اختيار وتعيين الأئمة والخلفاء، سواء أكان ذلك عن طريق البيعة أم عن طريق ولاية العهد ، وهم المنوط بهم تدبير أمور الأمة وشؤونها .

المطلب الثاني: الشورى

الشورى واحدة من آثار العلاقة العضوية ما بين الرأي العام والسياسة الشرعية، فالشورى في حقيقتها هي استخراج الإمام للرأي العام لمعرفة الرأي الأصوب ، ومن حكم مشروعاتها استظهار الإمام برأي المسلمين ، ليتبين الرأي الصواب الجدير بالاتباع حتى يكون الإبرام بعد تنقيح وترو ، وفي هذا عون كبير لصاحب الصلاحية عند قيامه بتنفيذ الرأي ، إلا أَنَّ شعور رئيس الدولة بأنه إنما ينفذ ما تريده أكثرية المسلمين يعطيه العزيمة في العمل.⁽⁹⁾

وهذا عين ما حصل مع الرسول (ﷺ) يوم بدر، فلقد رأى سعد بن معاذ كثرة استشارة النبي (ﷺ) أصحابه فيشيرون، فيعيد فظن سعد أنه يقصد الأنصار بإعادته وأنه يستتطق الأنصار شفقة ألا يستحوذوا معه، أو قال : ألا

(1) الأحكام السلطانية، للماوردي- أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، دار الحديث، القاهرة: 34/1.

(2) صحيح البخاري، بَابُ كَيْفَ يُبَايِعُ الْإِمَامُ النَّاسَ: 77/9، برقم (7199).

(3) غياث الأمم في التياث الظلم، للجويني- عبد الملك بن عبد الله (ت: 478هـ)، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، مكة المكرمة، ط2، 2001م: 70/1.

(4) تغرة: من الغرر ، وهو الخطر. لسان العرب: 11/5.

(5) صحيح البخاري، بَابُ رَجْمِ الْخُبَلِيِّ مِنَ الرِّثَا إِذَا أَحْصَتْ: 168/8، برقم (6830)، عن ابن عباس(رضي الله عنهما).

(6) مختصر منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ابن تيمية، عبدالله الغنيان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط2، 1430هـ/2009م: ص/61.

(7) الأحكام السلطانية، للماوردي: 22/1.

(8) المعجم الكبير، للطبراني- أبي القاسم سليمان بن أحمد أيوب (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1403هـ/1983م: 182/13، برقم (429)، والمستدرک علی الصحیحین، للنيسابوري-أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م: 337/3، برقم (5295)، قال الذهبي: صحيح.

(9) ينظر: الشورى في الإسلام، شوكت محمد عليان، دار العليان، الرياض، ط1، 1426هـ/2005م: ص/119.

يستجلبوا معه على ما يريد من أمره، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: لَعَلَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْشَى أَنْ لَا تَكُونَ الْأَنْصَارُ يُرِيدُونَ مُوَسَّاتَكَ، وَلَا يَرَوْنَهَا حَقًّا عَلَيْهِمْ، إِلَّا بِأَنْ يَرَوْا عَدُوًّا فِي بُيُوتِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ. وَإِنِّي أَقُولُ عَنْ الْأَنْصَارِ وَأَجِيبُ عَنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَطْعِمُ حَيْثُ شِئْتُ، وَصِلَ حَيْثُ مَنَ شِئْتُ، وَأَقْطَعُ حَيْثُ مَنَ شِئْتُ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتُ، وَأَعْطِنَا مَا شِئْتُ، وَمَا أَخَذْتَهُ مِنَّا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ عَلَيْنَا، وَمَا أَنْتَمَرْتِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمَرْنَا لِأَمْرِكَ فِيهِ تَبِعْ، فَوَاللَّهِ لَوْ سِرْتُ حَتَّى تَبْلُغَ الْبَرْكَ مِنْ غَمْدِ ذِي يَمَنٍ لَسِرْنَا مَعَكَ. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ سَعْدُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ (ﷻ)، فَإِنِّي قَدْ أَرَيْتُ مَصَارِعَ الْقَوْمِ» فَعَمِدَ لَبْدَرٍ،⁽¹⁾ فَقَدْ اسْتَظْهَرَ (ﷺ) بكلامه واطمأن إلى ثبات موقف الأنصار فاشتدت عزيمته، وسار إلى بدر مبشراً بالمسلمين بالنصر.

كما أشار ابن القيم إلى هذا الرأي بالقول: "استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه استخراجاً لوجه الرأي واستطابة لنفوسهم، وأمنه لعينهم وتعرفة لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض"⁽²⁾ فيتبين لنا ما سبق ذكره يبين لنا وجود علاقة ما بين الرأي العام والسياسة، وهو ما أطلق عليه المفكرون حديثاً اسم (الرأي السياسي)، الذي عرّف على أنه: عمليات تكوين الرأي العام وصناعة السياسة في المجتمع"⁽³⁾

المطلب الثالث: أثر الرأي العام في السياسة الشرعية

إن الاستجابة للرأي العام الغالب أمر واجب فقها وسياسة، ما دام أنه ليس في تلك الاستجابة مفسدة أو ضرر يلحق بالمصالح العليا للأمة، بل إن الاستجابة للرأي العام مصلحة محضة، لما تنطوي عليه من فوائد عظيمة، ومصالح عديدة، وخير دليل ما ورد في سيرة المصطفى (ﷺ)، وقد بين لنا رسول الله (ﷺ) في سيرته العطرة أن الأحكام الشرعية قد تتغير في أمور وشؤون الدولة كافة اعتماداً على الرأي العام، وفيما يلي ذكر لبعض الأمثلة التي تظهر لنا أن الرأي العام له أثر جلي وواضح في تغيير الأحكام الفقهية في السياسة الخارجية، وحسبنا ذكر مثال واحد من سيرته (ﷺ)، وهو استجابته يوم أُخِذَ للرأي العام المنادي بالخروج خارج المدينة المنورة للقاء عدوهم، على الرغم أن الرسول (ﷺ) كان يكره الخروج، إلا أن الرأي العام كان يقول: بالخروج فقد ورد فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال رسول الله (ﷺ) للمسلمين: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ بَقْرًا تُذْبِحُ، وَأَوَّلُهَا خَيْرٌ، وَرَأَيْتُ فِي دُوَابٍ سَبْعِي ثَلَاثًا، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دَرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلُهَا الْمَدِينَةُ. فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فَاتْلُتُمُوهُمْ فِيهَا». قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ يَوْمَ بَدْرٍ مِمَّنْ حَضَرَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرَجْنَا بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَا جَبْنَا عَنْهُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: أَقِمِ بِالْمَدِينَةِ وَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهُمْ حُبُّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَلَبِسَ لَأَمْتَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَعَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي النَّجَارِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ فَقَالُوا: اسْتَكَرْهَنَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَافْعَدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " مَا يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ إِذَا لَيْسَ لَأَمْتُهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالسُّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْمُتَافِقِ يَثْلُثُ النَّاسَ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي..."⁽⁴⁾

وجه الدلالة من هذا أن رسول الله (ﷺ) وهو الموحى إليه من ربه، أخذ بالرأي العام لجماعة المسلمين، وحرص على تنفيذ مشيئتهم، مع قناعته (ﷺ) برأيه الميداني المعارض لذلك.

أما المفكرون المعاصرون من رجال السياسة وعلماء الإعلام فقد ذهبوا إلى أهمية التزام الأنظمة السياسية المعاصرة والحكومات الوطنية بالرأي العام الوطني، وهذا ما كانت قد أشارت إليه النصوص الشرعية وكتب السلف الصالح منذ مئات السنين، ويمكن أن نجل هذه الفوائد بأمرين اثنين:

(1) دلائل النبوة، للبيهقي-أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت: 458هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ: 101/3.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم- أبي بكر محمد بن أيوب (ت: 751هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994م: 268/3.

(3) صوت الشعب دور الرأي العام في السياسة العامة، أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973م: ص101.

(4) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) - محمد بن إسحاق بن يسار المطبوع بالولاء، المدني (ت: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط1، 1398هـ/ 1978م: ص234، ودلائل النبوة، للبيهقي: 224/3.

أولاً: إنَّ الحكومة التي تستند إلى تأييد الرأي العام حكومة ذات قوة كبيرة؛ لأنَّها تستمد قوتها من جمهور الناخبين. ثانياً: إنَّ الحكومة التي تقوم على رضا الجمهور وتأييد الأغلبية إنما تعتبر حكومة أقل تعرضاً للانقلابات العنيفة والتغييرات المفاجئة. أما الناس اليوم فيمكن أن يعبروا عن رأيهم بالمظاهرات (1) والمسيرات (2)، والمظاهرة والمسيرة عرفاً بمعنى واحد، فكل منهما مكمل للآخر، لأن في كل منهما عسير (فعل حركي) وإبراز وجهة نظر معينة (موقف فكري) وكل منهما يستوجب العون والمساعدة. وأسباب المظاهرة والمسيرة كثيرة نجلها: أولاً: بيان رفض الرأي العام لأمر معين أو المطالبة بآخر. ثانياً: بيان حجم المعارضة لمقررات الحكومة والضغط عليها للاستجابة. ثالثاً: تستخدم المظاهرات عادة أساليب معينة لإيصال رسالتها إلى صناع القرار كالهتافات واللافتات (3).

النتائج والتوصيات:

- كان بحثنا بعنوان (الرأي العام وأثره في السياسة الشرعية)، وقد خرجنا بالنتائج الآتية:
- 1- للرأي العام أثر في تغيير الأحكام المتعلقة بسياسة الدولة داخلية كانت أم خارجية.
 - 2- إمكانية التأصيل الشرعي للرأي العام اعتماداً على مصادر التشريع الإسلامي كما بينت الدراسة.
 - 3- حرص الرسول (ﷺ) على الاعتداد بالرأي العام، والعمل به في شتى مجالات.
 - 4- وجود عوامل لعبت دوراً في تكوين الرأي العام في عصر الرسول (ﷺ) كما أنه (ﷺ) قد استخدم أساليبه في تشكيل الرأي العام بينتها الدراسة.

نوصي بعد طرح الموضوع بما يأتي :

- 1- على القائمين بالأمر وضع نظرية متكاملة للرأي العام من وجهة النظر الإسلامية توضح طبيعة هذه الظاهرة والعوامل المؤثرة في تكوينها وأثرها في النظم السياسية الإسلامية المعاصرة.
- 2- فتح الباب أمام دراسات الرأي العام على مصراعيه نظراً للأهمية الحالية والمستقبلية لهذه الدراسات.
- 3- على النظم السياسية الإسلامية المعاصرة الاعتداد بالرأي العام، والعمل اقتداءً بسنة رسول الله (ﷺ) كونه يرسخ أمن المجتمعات واستقرارها وصونها لمنجزاتها.

المصادر والمراجع

- 1- الأحكام السلطانية، للماوردي- أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، دار الحديث، القاهرة.
- 2- أحكام المظاهرات في الفقه الإسلامي، مروان خلف الضمور، دار المأمون، عمان، ط1، 2009م.
- 3- أساسيات الرأي العام، محمد منير حجاب، دار الفجر، القاهرة، ط1، 1998م.
- 4- أصول السرخسي (تمهيد الفصول في الأصول)، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: 483هـ/ 1089 م) دار المعرفة، بيروت.
- 5- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم -أبي عبدالله محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد، دار الجيل، بيروت 1392هـ/ 1972م.
- 6- الإعلام والاتصال بالجمهير، إبراهيم إمام، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1984م.

(1) المظاهرة من التظاهر من التعاون والتساعد، واستظهر به استعان، وظهرت عليه أعتنه، وظهر على أعانتي. لسان العرب: 525/4، وبناء عليه فإنَّ المظاهرات جمع مظاهرة، وتعني المعاونة والمساعدة.

(2) المسيرات لغة؛ من (سير) والسير بمعنى الذهاب، والمسيرة هي المسافة التي يسار فيها من الأرض، والسيارة: القوم يسرون، أنت على معنى الرفقة أو الجماعة وهو جمع سيار. لسان العرب: 389/4.

(3) بتصرف من: أحكام المظاهرات في الفقه الإسلامي، مروان خلف الضمور، دار المأمون، عمان، ط1، 2009م: ص/19.

- 7- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي- أبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: 1205هـ/1790م) دار الهداية، دمشق.
- 8- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) - أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/2000م.
- 9- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـ/1952م.
- 10- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت (الطبعة السلطانية)، ط1، 1422هـ/2002م.
- 11- خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.
- 12- دلائل النبوة، للبيهقي- أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت: 458هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلججي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ.
- 13- الرأي العام مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، سعيد السراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
- 14- الرأي العام في القرن الثالث الهجري، عادل الألوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م.
- 15- الرأي العام في المجتمع الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط16، 1984م.
- 16- الرأي العام وإعلام والحرب النفسية، عبد الحميد حجازي، المطابع الوطنية، القاهرة، 1987م.
- 17- الرأي العام والإعلام والدعاية، هاني رامي الرضا، المؤسسات الجامعية، بيروت، ط1، 1985م.
- 18- الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة، حسين عبد القادر، جامعة القاهرة، قسم الصحافة، ط2، 1962م.
- 19- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم- أبي بكر محمد بن أيوب (ت: 751هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994م.
- 20- السياسة الشرعية عند الإمام ابن قيم الجوزية، جميلة عبد القادر الرفاعي، دار الفرقان، عمان، 2004م.
- 21- السياسة الشرعية في الفقه الإسلامي، عبد الرحمن تاج، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1953م.
- 22- السياسة الشرعية في مواجهة تعاطي القات في اليمن، هناء سالم باحميد، دار حضر موت، عدن، 2014م.
- 23- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) - محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط1، 1398هـ/1978م.
- 24- الشورى في الإسلام، شوكت محمد عليان، دار العليان، الرياض، ط1، 1426هـ/2005م.
- 25- صحيح مسلم- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- 26- صوت الشعب دور الرأي العام في السياسة العامة، أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973م.
- 27- العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى- محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت: 458هـ)، تحقيق: د. أحمد بن علي بن سير المبارك، جامعة الملك محمد بن سعود، ط2، 1410هـ/1990م.
- 28- غياث الأمم في التياث الظلم، للجويني- عبد الملك بن عبد الله (ت: 478هـ)، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، مكة المكرمة، ط2، 2001م.
- 29- لسان العرب، لابن منظور- أبي الفضل محمد بن مكرم المصري (ت: 711هـ) دار صادر، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.
- 30- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2/1985م.
- 31- مختصر منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالله الغنيمان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط2، 1430هـ/2009م.
- 32- المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري- أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م.

- 33- معاني القرآن، للفراء- أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط1.
- 34- المعجم الكبير، للطبراني- أبي القاسم سليمان بن أحمد أيوب (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1403هـ/ 1983م.
- 35- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1399هـ/ 1979م.
- 36- النكت والعيون (تفسير الماوردي) أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرسائل والاطاريح والمواقع والمجلات:

- 1- تاريخ الرأي العام، حسني الخطيب، موقع قصة الاسلام، 2013م بإشراف الدكتور راغب السرجاني.